مجلة
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة
علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

علميـــة
فصليـــة
محكمـة

الرقم الدولي
٢٣٠٤ـ٩٣٠٨

السنة الأولى
العدد(٢)

شعبان/رمضان ١٤٣٧هـ، حزيران ٢٠١٦م
تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف/العراق

JOURNAL
of Ash-Sheikh At-Tousy University College

Seientific
Quarterly
Refereed

ISSN
9308 – 2304

First year
No.2

2

Shaaban/Ramadan 1437 A.H - June 2016 A.D
Issued by Ash-sheikh At-Tousy University College- Holy Najaf- Iraq

الرقم الدولي (٩٣٠٨-٢٣٠٤)

مجلة
كلية الشيخ الطوسي الجامعة
علمية فصلية محكمة تُعنى بالدراسات الإنسانية

تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف/العراق.
السنة الأولى، العدد(٢)
(شعبان/رمضان١٤٣٧هـ)، (حزيران ٢٠١٦م).

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٣٥) لسنة ٢٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جهاز الاشراف والتقويم العلمي
قسم التعليم الاهلي

رقم الكتاب : ج هـ/ ٦٤٨٧
التاريخ ١٤/١١/٢٠١٢

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

م/ محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣
المنعقدة بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٩

تحية طيبة...

الحاقا بكتابنا المرقم ج هـ/٦١٠٠ في ٢٠١٢/١١/٥ ، بشان الفقرة (١٠/١/اولا:الشؤون العلمية) من محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣ ، نود اعلامكم الى انه بالامكان اعتماد مجلة الكلية لاغراض الترقية العلمية وفق الية اعتماد المجلات الصادرة عن الكليات الاهلية والجمعيات العلمية لاغراض الترقية العلمية والتي يمكن الاطلاع عليها على موقع دائرة البحث والتطوير (www.rddiraq.com)

للتفضل بالاطلاع واتخاذ مايلزم...مع التقدير.

المحاسب القانوني
حيدر محمد درويش
ع/رئيس جهاز الاشراف والتقويم العلمي
٢٠١٢/١١/١٤

نسخة منه الى//
- ✓ مكتب رئيس الجهاز/للتفضل بالاطلاع..مع التقدير.
- ✓ دائرة البحث والتطوير / مذكرتكم ب ت م/١٠٥٤٣/٤ في ٢٠١٢/١١/٨...مع التقدير .
- ✓ جهاز الإشراف والتقويم العلمي/قسم التعليم الاهلي/شعبة المحاضر/ مع الاولية.
- ✓ الصادرة .

البريد الالكتروني: mhesses @ yahoo.com

رئيس التحرير
أ.د. سعد حمد عبد اللطيف

مدير التحرير
د.خالد كاظم حميدي

هيأة التحرير

أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجة أ.م.د. سعدية كريم الخواجة
أ.م.د. فاضل محمد الزبيدي أ.م.د.عبدالله شاكر الشيباني

التصحيح اللغوي
د.هاشم جبار الزرفي

الإشراف الفني
السيدة فاطمة محمد صاحب

الإدارة المالية
السيد رائد جاسم محمد

دار الضياء للطباعة والتصميم

العراق ـ النجف الأشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣
aldhia_company@yahoo.com

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن عيسى الحكيم: رئيس جامعة الكوفة سابقا /العراق.
أ.د.زهير غازي زاهد: الكلية الإسلامية ـ النجف الأشرف/العراق.
أ.د.سعد عبد العزيز مصلوح: جامعة الكويت/الكويت.
أ.د. عبد القادر فيدوح: جامعة قطر/ قطر.
أ.د. حبيب مونسي: جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس/الجزائر.
أ.د.حاكم حبيب الكريطي: جامعة الكوفة / العراق.
أ.د. أحمد رشراش: جامعة طرابلس/ليبيا.
أ.د. سرور طالبي الملّ: رئيس مركز جيل البحث العلمي/لبنان.
أ.د. حسن مجيد العبيدي: الجامعة المستنصرية/العراق.
أ.د. هادي حسين هادي: جامعة الكوفة/العراق.

تعليمات النشر

في مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

١.أنْ لا يكون البحث قد نُشِر أو قُبِل للنشر في مجلة داخل العراق أو خارجه, أو مستلا من كتاب أو محمّلا على شبكة المعلومات العالمية.

٢. أنْ يضيف البحث معرفة علمية جديدة في حقل تخصصه.

٣. أنْ يرعى البحث قواعد المنهج العلمي، ويُرتّب على النحو الآتي: عنوان البحث/ اسم الباحث بذكر درجته العلمية، ومكان عمله/ خلاصة البحث باللغتين العربية والإنجليزية لا تتجاوز أيّ منهما مئتي كلمة/ المقدمة/ متن البحث/ الخاتمة والنتائج والتوصيات/ الهوامش نهاية البحث/ ثبت بالمصادر والمراجع.

٤. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصّين لتحديد صلاحيته للنشر، ولا يعاد إلى صاحبه سواء قُبِل للنشر أم لم يُقْبل, ولهيأة التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه مناسبا.

٥. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft word)، بخط (Simplified Arabic) للغة العربية، وبخط (Time new roman) للغة الإنجليزية، بحجم (١٤) للبحث و(١٢) للهوامش.

٦. تنسيق الأبيات الشعرية باستعمال الجداول .

٧ . تسحب:(الخرائط, الرسوم التوضيحية, الصور) بجهاز (اسكنر) وتحمّل على قرص البحث.

٨ . يقدم الباحث ثلاث نسخ من بحثه مطبوعة بالحاسوب، مع قرص مضغوط (CD).

٩. لا يعاد البحث إلى الباحث إذا ما قرر خبيران علميان عدم صلاحيته للنشر.

١٠. ترتيب البحوث في المجلة يخضع لأمور فنية.

المراسلات

توجه المراسلات الرسمية إلى مدير تحرير المجلة على العنوان الآتي:
جمهورية العراق ـ النجف الأشرف ـ كلية الشيخ الطوسي الجامعة.
موقع المجلة على الانترنت: www.altoosi.edu.iq/ar
البريد الإلكتروني: mjtoosi3@gmail.com
نقال: ٧٨٢٧٩٦٩٣٢٦ (٠٠٩٦٤)
البريد الاعتيادي: العراق ـ النجف الأشرف ـ صندوق بريد:(٩).

تطلب المجلة من كلية الشيخ الطوسي الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

بعد القبول الحسن والترحيب الذي لاقته مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة في عددها الأول من المفكرين والباحثين والأدباء والمثقفين من داخل العراق وخارجه.

تنطلق مجلتنا في عددها الثاني وهي تحمل همّاً علمياً يلتقي كثيراً مع ما جاء في العدد الأول في كثير من الجوانب، وهما يحاولان معاً رسم ملامح الأعداد القادمة في محاولة لتأسيس مشروع علمي أكاديمي يرصد الإشكالات والمشكلات القديمة والمعاصرة بأشكالها المختلفة: الفلسفية والفكرية واللسانية، وكل ما يتصل بهذه الجوانب من حقول معرفية وعلوم تطبيقية تخص الجانب الإنساني.

وقد حرصنا في هذا العدد ـ كما في العدد السابق ـ على الدقة في الاختيار على مستوى نوعية البحوث وعمقها وكذلك رصانة التقويم ومتانته المنهجية فضلاً عن الجمالية في الإخراج. تدفعنا إلى كل ذلك رغبة الارتقاء نحو الأفضل على مستوى الشكل والمضمون. لتقديم الأفضل للقارئ الكريم الذي نأمل منه أن يؤدي مهمة الناقد البنّاء منتظرين منه النصح والتصويب لإيماننا العميق أن النقد هو مرحلة مهمة من مراحل البناء المعرفي، لذلك تفتح المجلة أبوابها مشرعة أمام السادة الباحثين والسيدات الباحثات لإبداء آرائهم ونصحهم.

ومن الله التوفيق

مدير التحرير

التمرد في الكتابة النسائية مظهراً للإبداع الأدبي الحديث

د. بشرى عبد المجيد تاكفراست
كلية اللغة العربية ـ جامعة القاضي عياض
مراكش/المغرب

التمرد في الكتابة النسائية مظهرًا للإبداع الأدبي الحديث

د. بشرى عبد المجيد تاكفراست
كلية اللغة العربية ـ جامعة القاضي عياض
مراكش/المغرب

ملخص:

عرف الأدب العربي ظواهر متعددة جديدة منها ظاهرة التمرد التي خصبت في الكتابات التي تصدر عن نون النسوة رغبة منها في محاولة التحرر من قيود خلقها الآخر (الرجل، المجتمع...) وتجاوز الصورة التبعية التي توارثتها الذاكرة الجماعية في قوالب جاهزة حولها... فغدت هذه الكتابات(روايات، قصص، دواوين) ظاهرة حضارية تمارس فعل قراءتها بانفتاح كبير... ترشح بهمومه المرأة وتؤسس لنفسها مكانا في المشهد الثقافي العربي... وقد تابعنا هذه الظاهرة في كتابات نسائية عدة من مختلف الأجناس بالدرس والتحليل والنقد لنخلص إلى أن مبالغة المرأة الكاتبة في التحرر جعلها تسيء للأدب النسائي من إذ أرادت الإصلاح... فبالعلم وحده تستطيع تحقيق انعتاقها والوصول إلى فهم أعمق للرجل واندماج أفضل داخل مجتمعها وبيئتها...

Abstract:

The arabic literature has known multiple phenomena such as the rebellion which enriched in the feminine literature in an attempt to be free from restrictions created by other (man, society…) and overcome the image of dependency that had been handed down through the collective memory.. As a result, these writings (novels, stories, poetry) became an image of a civilized phenomenon that shows womens' sorrow and were read with great openness which helped establish a place for itself in the Arab cultural scene… We have followed this phenomenon in the writings of several women from various races through studying, analysing and criticizing to conclude that the exaggeration of the woman writer to be free mad her offend and harm the feminine literature in terms of the reform… She could have used only science to be able to break free and understand the man for better integration into her own society and environment…

الدراسة:

استهل الأدب النسائي العربي خطواته الفعلية أواسط القرن العشرين، فكان نافذة للبوح بهموم المرأة ، منتقدة الآخر المتمثل غالبا في شخص الرجل الذي يحيل إلى سلطة ذكورية أبوية قمعية منذ صدور روايتي "أنا أحيا" و"أيام معي" لكوليت خوري سنة ١٩٥٨. فظهرت أدبيات بعدها من كل الأقطار وفي شتى فنون القول، وظهرت روايات ومجموعات قصصية ودواوين شعرية متعثرة في البداية، لكنها لم تلبث أن احتلت مكانها بين كبار الأدباء، كما أبدعت المرأة في مجال الدراسات والكتابات العلمية والمقالات الصحفية، وبلغت مبلغا لا يكاد يتميز عما بلغه الرجل في شيء، مستفيدة من تغير نظرة المجتمع العربي للمرأة، وكذا تزايد الوعي بأهمية العلم والمعرفة في حياة الفرد، والتشديد على أهمية تعليم الفتاة، بوصفها لبنة أساسية في بناء المجتمع، ورقما مهما لا تستقيم المعادلة من دونه، وهذا ما يفسر ولوج المرأة لشتى الميادين والمجالات حتى تلك التي كانت لعهد قريب حكرا على الذكور، وبالطبع كان

الأدب واحدا من هذه المجالات، إذ وجدت فيه المرأة العربية متنفسا مناسبا، تحاول من خلاله التخلص من الصورة غير المرضية التي وضعها المجتمع في إطارها كعنصر سلبي أبرز خصائصه الخنوع والدونية، محاولة تجاوز الاضطهاد في تركيبة علاقات المجتمع المختلفة التي جعلت من الكتابة إيقاعا اجتماعيا ممتلئا بالصفات الذكورية لغة وشخصيات وزمانا ومكانا وأحداثا، وبنى وانساقا رمزية تحكم عمليات التعبير والتحليل وفق رؤية الرجل وحده للعالم.

شكلت محاولة التحرر والتمرد على ما هو قائم أولى خصائص كتابات المرأة في الأدب، فمارست فعل التحدي ضد قوى عاتية لا تستطيع إلحاق الهزيمة بها ، فعكست ما تعرضت له من تعسف نفسي واجتماعي بوصفها أنثى ، فصورت رغبتها في التحرر وسط عدة تجليات، أبرزها:

أولا: رفض تكريس الأسر للنظرة الدونية للفتاة بتفضيل الابن الذكر في عدد من الأمور، وفي ذلك تقول نوال السعداوي :"لم تنطلق الزغرودة من فم أم محمود الداية، ولم تفتح الأم الوالدة جفونها لترى ماذا ولدت، وكنت أنا بالمصادفة ذلك الشيء المولود..."[1].

ثانيا: التمرد على القوالب الجامدة التي وضعها الرجل، وظل – باستمرار- يصوغ آدابه في إطارها، ومن ذلك ما فعلت نازك الملائكة بعمود الشعر الذي صمد لقرون طويلة، وما فعلت غيرها بباقي الفنون من خلال تغيير قواعد الإبداع شكلا ومضمونا.

ثالثا: التمرد على النظم السياسية وتعاليم الأديان وضوابط الأخلاق وما سوى ذلك مما له علاقة بالماضي، أو التراث، أو التقاليد، فكان تمردهن الأدبي لا يخرج عما سمّاه بعضهم الثالوث المحرم: الدين، الجنس والسياسة. فعلى صعيد الجنس أولا، عرت الكاتبة المتحررة الجسد تماما، ونزعت عنه صفة المكنون الثمين الذي لا يصح كشفه، وتمردت على مصطلحات الحياء والعيب والستر، ففضحت ممارسات الرجل الجنسية بشكل صريح لا لبس فيه، ظنا منها أنها بفعلها ذلك، إنما تكشف نقط ضعفه تجاه أنوثتها وجمالها وتكسر

أمام المجتمع هيبته المصطنعة، التي طالما قهرها بها، فكانت جل الكتابات تحكي سيرة جسد ركبته الشهوة، لكنه مثقل بالقهر العاطفي والاجتماعي.

فالغضب الذي تختزنه الكاتبة تنفثه سمًا زعافًا في سطورها، بغرض مواجهة ما تظنه بشاعات حصلت لها، فنجد مثلا في "زهرة" بطلة حنان الشيخ، أن الشخصية تقدم جسدها بلا متعة لتنتهي إلى الجنون والموت برصاص قناص. أما "سمية" بطلة ليلى العثمان، فتموت غرقا حتى لا يراها حرس الشاطئ مع حبيبها. أما "عين الحياة" بطلة نوال السعداوي، فإنها تضع يديها على فم طفلها حتى لا يسمع المطاردون بكاءه، فيموت الطفل مختنقا وتنتهي أمه إلى الجنون. تقول غادة السمان: "إن قضية تحرر المرأة جزء من نسيج حياتنا العربية التحررية والإنسانية والوطنية والاقتصادية والمقدسة والخرافية والجنسية والسرية والعلنية، ولا يمكن فك الاشتباك بينها"(٢).

على المستوى السياسي ثانيا، كانت الكتابات النسوية المتمردة لاذعة غير رحيمة بأحد، وغير آبهة ولا خائفة من أغلال السجون، بعدما تمكنت من كسر أغلال الماضي وقيوده الوهمية، فجاءت كتاباتهن شرسة غير مهادنة، تنتقد الأوضاع السائدة بما هو أكثر من الانتقاد، ولعل معاناة نوال السعداوي مع السياسيين خير دليل على ذلك، من دون أن ننسى الرفض الذي ووجهت به كتابات أحلام مستغانمي في الجزائر أو غادة السمان في لبنان، وقد وصل الأمر ببعضهن أن تعرضن للنفي وكذا السجن وشتى صنوف التعذيب.

إنّ الصورة التي أراد الأدب النسائي المتمرد تكسيرها، هي صورة "الفراشات الحائمات حول نار مصطنعة، يصنعها موقد الرجل ومجتمعه، فيحترقن في لهبه منتحرات في صورة عاشقات وفيات، أو زوجات مخلصات، أو بنات وأخوات مطيعات، وأمهات ذليلات"(٣).

فالهدف الأول والأخير، هو هدم حائط الخوف والسيطرة الذكورية التي تتكفل بترتيب كل دقائق حياة المرأة، وتجعله قانونا لا يخرق، بدءا من

نوعية اسمها وزيها وصفة تواجدها المجتمعي، كما حدد لها دورها في الحياة موقعها منها.

أما بالنسبة إلى التمرد الأدبي النسائي الديني كمستوى للضلع الثالث للمثلث الممنوع، فأمره أشد وأشقى، فقد اتخذت كتابات هؤلاء الأديبات المتحررات شكل رفض مطلق للنصوص الدينية، أو تضمين هذا الرفض في عبارات ساخرة متهكمة بغرض تجنب المواجهة المباشرة مع مجتمع عربي يعد الدين من أهم ركائزه، تقول أحلام مستغانمي مبررة سلوكها ونظيراتها هذا المسلك: " فأن تكتب يعني أن تفكر ضد نفسك، أن تجادل أن تعارض، أن تجازف، أن تعي منذ البداية أن لا أدب خارج المحظور ولا إبداع خارج الممنوع ... ولو كانت الكتابة غير هذا، لاكتفت البشرية بالكتب السماوية وانتهى الأمر؛ ولكن خطر الكتابة و متعتها يكمنان في كونها إعادة نظر ومساءلة دائمة للذات، أي في كونها مجازفة دائما"[٤]. فهؤلاء الكاتبات المتمردات يعرفن جيدا نوعية الطريق التي اخترنها، ويعتقدن تمام الاعتقاد بسلامة الموقف الذي اتخذنه.

هذا الوعي يتجسد في عدم الخوف من المعارضة الشديدة وأحيانا العنيفة التي تعرضن لها متى صدرت سطور نارية من تلك التي خطتها أقلامهن. تقول غادة السمان متحدية الجميع: "فكتبي ... تحريض غير مباشر للإنسان، وللمرأة العربية بالذات للخروج من قوقعة الخوف إلى اتساع الدنيا..."[٥] ، وتتابع غادة السمان معلقة على التقاليد العربية التي تحض الفتاة على لزوم بيتها بقولها: " إن الفتاة التي تمنع من الخروج وحرية التصرف ليست بالطبع فاسقة، لكنها ليست فاضلة، إنها اللاشيء، لأنها لم تختر شيئا"[٦].

والحال أن هذا الموقف الذي وقفته المبدعات العربيات، لا يشكل بدعة جديدة في ما يتعلق بالموقف من الأديان عامة، ولكنه يشكل امتدادا لموجة الحداثة، خاصة في شقها الأدبي والتي ظهرت في أوربا واتخذت شكل صراع مع الكنيسة رغبة منها في إقامة مجتمع حر، الكلمة فيه للإنسان وحده، دون أن

يكون للأديان دخل بشؤون حياته. ومن تم، ارتفعت دعواتهم بإبعاد الدين إبعادا تاما عن شؤونهم، لأن عقيدتهم تقوم على أنه كلما أخرج الإنسان الدين وتبعاته من حياته، كلما كانت حياته أسعد. هذه الآراء انتقلت إلى العالم العربي، ووجدت لها مكانا بين صفوف عدد من المثقفين، فتبنوها وآمنوا بها، وترجموا هذا الإيمان فكرا منحرفا في كتاباتهم، حافلا بمستويات تحقيق العدالة تفكيرا وتصرفا ووظيفة وجنسا...

فاتخذت هذه الكتابات التحررية المتمردة النسائية في بداياتها شكل بوح خفيف، تجس من خلاله نبض المجتمع وقياس ردة فعله على سطورها الأولى، ثم ما لبثت أن بدأت تصدع بأفكارها ضد ما تعده قهرا وعبودية، تعرضت له بنات جنسها لردح طويل من الزمن وذلك من طريق اللجوء إلى الصحف والمجلات التي بدأت في الازدهار مستفيدة من ظهور المطابع ودور النشر.

في هذه الأثناء بدأت الحركة النسائية على الصعيد المجتمعي تنمو أكثر فأكثر، فأسست النساء الجمعيات والمراكز الحقوقية التي تعنى بثقافة حقوق الإنسان، وبالأخص قضايا المرأة على اختلاف أنواعها، فعقدت الندوات التوعوية والمحاضرات التي تهدف إلى تعبئة هذا الكائن الجميل، من أجل رص الصفوف تمهيدا لخوض المعركة الكبرى ضد المجتمع إن شئنا التعميم، أو ضد الرجل إن أردنا دقة أكبر، فأسست كتابة تعيد قراءة الأنثوي "ذلك الغريب فينا"[٧] على حد تعبير جوليا كريستيفا...

وتطورت الكتابة النسائية بعد ذلك وأصبحت أكثر شراسة واحترافية، فظهر الإبداع متكاملا في صنف الرواية والقصة ونظم الشعر والمسرحيات وغيرها، وكانت الأفكار والرسائل المتضمنة في هذه الآداب صريحة وجريئة إلى أبعد الحدود، واتخذت أغلبها طابعا واحدا، هو التأكيد على أن المرأة ليست عنصرا من الدرجة الثانية، بل لها نفس المكانة المجتمعية التي يحظى بها الرجل دون أدنى نقص، فجاءت هذه الكتابات متمردة على كل "الثوابت" التي كانت محرمة آنفا، فتحرشت بالقدسي والمحرم، ونبشت في القيم المستقرة،

وشككت بكل شيء، ودخلت عوالم الخطيئة والموت بأسلحة متعددة، فتحدثت المبدعات في الجنس والأخلاق والتراث والسياسة والدين وغيرها مما شكل آنذاك ألغاما ليس الاقتراب منها بالأمر الآمن تماما حتى من طرف الرجل، لكنها بجرأتها ناقشت هذه المواضيع وأبدت مواقفها منها، والتي لم تكن بالضرورة موافقة للمواقف التي كان يعتقدها عموم الناس.

بعض هذه الكتابات لم يقف عند حدود الجرأة والاندفاع في معالجة هذه المواضيع، بل سطر آراءه أحرفا نارية تلفح ألسنتها كل من اطلع على مضمونها، من خلال اعتقاده بأن الإبداع حر، والقول لا حدود له ، والتعبير شعاره الأساس والوحيد هو "الحرية".

في هذا الإطار ظهرت أدبيات عدة، اتسمت آدابهن بهذه السمة المتمثلة في التمرد والخروج عن المألوف، بل إننا أصبحنا نتحدث عن تمرد أدبي لدى هؤلاء، على اعتبار أنهن طرقن باب المباح من القول فولجنه، ثم طرقن باب الممكن فدلفن داخله، بعد ذلك هممن بطرق باب المستحيل، أو ربما طرقنه فعلا، فحادت آدابهن عن الطريق السليم...كانت هذه الأصوات النسائية تسعى إلى إيجاد كلمات لما لا يقال، للمقموع والمكبوت ، للشعور واللاشعور، كما تطمح لأن تدفع بالكتابة في اتجاه أناها لتقول تاريخها الحميم وتفجره عبر فعل الكتابة ، ففي نصوص نوال السعداوي ورنا الخطيب وغادة السمان ومليكة نجيب وربيعة ريحان وعائشة موقظ وأخريات...نلمس هذه اللغة الأدبية التي بدأت تميل إلى البوح الداخلي ، وتتحرر شيئا فشيئا من جماليات الرجل ورؤاه، وتتفتح بهذا القدر أو ذاك على الذاتية والرغائب الدفينة وتحكي بالكلام والصمت عن الفقد والإقصاء.إنها نصوص أنثوية مسكونة بفكرة الانعتاق والبحث عن فضاءات أرحب للحرية والجرأة ،مشحونة بالاحتجاج والرفض وهي تعانق جمالية الكلمة في أقصى درجات استغلالها لتحرير المرأة الكاتبة من وصاية الرؤية الرجالية.

لقد آثرت الاحتياط في معالجة الإشكال المشهور الذي قتله الدارسون تحليلا ومناقشةً، والمتمثل في وصف الأدب الذي تكتبه المرأة،" بالنسائي". فالعديد من الكتاب خصصوا جزءا كبيرا من مداد أقلامهم لهذا الموضوع، ما بين متفق على التسمية ومعارض لها،فسموه تارة بالإبداع النسائي وأخرى الأدب النسوي وثالثة أدب المرأة وهذا إشكال آثرت الابتعاد عنه، إلا ما كان من شذرات لابد من إدراجها لعلاقتها الوطيدة بالموضوع...

والأدب النسائي ليس وليد الزمن المعاصر، وإن كانت ثورته العارمة حدثت في بداية القرن العشرين ومازالت مستمرة إلى الآن، وستمضي في نفس السبيل، فأقدم الآثار تعود إلى العصر الجاهلي، إذ نبغت نساء عديدات في فن الشعر، وبارزن فيه فحول الشعراء، أمثال: ليلى العفيفية، الخرنق بنت بدر، ريطة بنت عاصم، صفية بنت الخرع، صفية بنت ثعلبة... لكن أبرز النسوة الشواعر المخضرمات، اللواتي احتفظ التاريخ بسيرتهن المتميزة، تظل من دون منازع؛ الخنساء بنت عمرو بن الشريد[٨] و ليلى الأخيلية، وميسون الباهلية، وكنزة أم شملة المنقرية، وغيرهن كثيرات. ولعل اهتمامنا بالشعر دون سواه من فنون الأدب إبان هذه الحقبة من التاريخ الأدبي، راجع إلى كون باقي الأجناس كالقصة والرواية كانت غائبة تماما عن الساحة آنذاك، ولم تزدهر إلا في العصر الحديث.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما خصوصيات هذا الوليد الأدبي الجديد؟ هل هناك معايير نقدية خاصة تميز في الكتابة بين ما هو نسائي و ما هو رجالي؟ وما الذي يميزه عن كتابات الرجل؟ هل نطلق هذا التعبير على كل كتابة صادرة عن امرأة كاتبة؟ ألا يمكن اعتبار بعض كتابات الرجال كتابة نسائية، وذلك لما تركز عليه من أدوار وظيفية مهمة للمرأة، سواء أكانت المرأة شخصية محورية أم شخصية ثانوية وهامشية؟...

يستفزني سؤال آخر الآن هو : كيف يمكن أن نستجلي جنس المؤلف في كتابات علمية مجردة، غارقة في الدرس والتحليل والاستقراء والاستنباط.

ومن ثمَّ فاللغة محايدة، وهي في ذات الآن وسيلة مرنة في يد الرجل والمرأة يستعملانها على وفق ما يشاءان، فكلاهما كتب في مواضيع واحدة، فجاءت الأفكار متشابهة والآراء متطابقة، فانمحى بعد ذلك الفرق الجنسي واختفى؟...

ومن هذا المنطلق، يمكننا القول إنه لا يوجد أدب نسائي وآخر رجالي، بل هناك أدب وموهبة، والجدارة والاستحقاق للأمهر سواء أكان ذكرا أم أنثى، ولتأكيد ذلك نحاول استقراء التاريخ الأدبي العربي، محاولين وضع الأصبع على مدرسة تدعى "الأدب النسائي"، سواء في القطر العربي أم خارجه. فالإبداع سواء : نسائي أو ذكوري ، فهو إبداع إنساني ، المهم فيه الإنتاج الفني ، فالأقلام وحدها قادرة على بعث ثقافي وأدبي خصب بغض النظر عن ذكوريته أو أنثويته .

فالصواب أن إطلاق مصطلح "أدب نسائي"، الهدف منه اعتماد معيار تصنيفي لا غير، يهدف إلى تمييز ما يكتبه الرجال عما تكتبه النساء، بدون أفضلية لأحد الجنسين على الآخر، ودراسة الآثار الأدبية النسوية، وكذا تحديد رؤية النساء للقضايا المتناولة في تلك الكتابات.

ولقد درج المهتمون على إطلاق هذا النوع من التوصيفات، فقالوا: أدب المهجر وأدب الانتفاضة، وأدب النكسة، وأدب السجون ... إلى غير ذلك من الأوصاف التي لا تهدف إلا إلى تمييز نوعية أدبية معينة عما سواها، ومن ثمَّ فليس المقصود إبراز تفوق جنس عن جنس ولا عزل الأدب النسائي عن الأدب الذكوري بقدر ما هو وصف وتصنيف لا غير.

مع مطلع القرن العشرين، بدأت تظهر إلى الوجود مفاهيم جديدة وموضوعات مختلفة ، بعدما اطلعت على مقولات الكتابة النسائية الغربية ترجمة واقتباسا ، فقطعت شوطا في تأصيل مقولاتها منذ الثورة الثقافية السياسية الأوروبية عام ١٨٤٨م[٩]... كما بدأ الحديث يتزايد عن حقوق المرأة على وجه الخصوص في العديد من الأقطار، في محاولة جادة لرفع الحيف

والظلم عنها وإخراجها من الشرنقة التي عاشت داخلها لزمن طويل، ولا يهم إن كان رأينا تجاه هذا الحراك أنها قضية تستحق العناية، أم أنها مجرد موضة فكرية لم تنل اقتناعنا وإيماننا بها، ما دمنا متفقين على أن المرأة العربية، كانت في وضع يشبه العدم على المستوى الثقافي العربي، لكن هذا الوضع لم يلبث أن بدأ في التغيير، إذ ظهرت أصوات نسائية تصدح في العلن بآرائها مكسرة سلاسل حديدية كبلت حريتها في الماضي، فأصبحت المرأة مبدعة بعدما كانت موضوعا للإبداع، فظهر هذا البطل الأنثوي الذي يحتج على الوضع الدوني ويرفض "الجيتو" الحريمي، ويثور على السلطة الذكورية مطالبا إياها بالنظر إلى المرأة كإنسان وليست كذات للركوب وإقبار الشهوة ...

بل واتخذت من نقاط ضعفها نقاط قوة، استندت عليها لتقوية موقفها، وأثبتت أنها تعرف نفسها أكثر من الرجل، بل وتعرف الرجل أكثر من نفسه، فتمكنت الكاتبة العربية الجريئة من أن تنقل للقراء نظرة الرجل الذكورية للمرأة، وأحيانا بشكل فاضح، وذلك بأسلوب شيق ممتع، في محاولة لكشف حقيقة هذا الرجل الذي سامها شتى أنواع القمع والاضطهاد عبر أزمنة التاريخ المتعاقبة. وقد أدى ذلك إلى تزايد الإقبال على الأدب النسائي بأصنافه المختلفة، وكثر الإعجاب بالإبداع النسائي حتى ذهب بعضهم إلى حد القول، أن "الأدب مهنة نسائية (إذ) أنه يشبه فن النسيج والطرز"[١٠]، فكثرت المقارنات بين أدب الجنسيين أدرك من خلالها البعض الفوارق التي تميز النساء عن الرجال، فتوصلوا إلى أن "النساء يمتلكن القدرة على تميز أشياء يفضل الرجال تجاهلها، فالرجل يصف بالأحمر ما تراه المرأة بلون الآجور أو الفوكسيا ... ومن هذه التفاصيل يصنع الأدب"[١١].

شكلت الرواية- كنوع أدبي- عنوان تحرر المرأة مع بداية العصر الحديث في الأدب العربي، وذلك بعد قرن من الارتهان للرجل، فبرز على الفور اسم الروائية اللبنانية الذائعة الصيت "ليلى بعلبكي"[١٢]. التي أصدرت سنة ١٩٥٨م روايتين خلفتا ردود فعل ضخمة في أوساط النقاد والأدباء

والمثقفين، والتي عنونتهما بـ"الآلهة الممسوخة"، و"أنا أحيا"، واللتان تزامن صدورهما مع تنامي المد التحرري النسوي، وكذا دعوات تكريس ثقافة حقوق الإنسان في المجتمع، ويرى الدارسون أن مسألة الأدب النسوي أو أدب المرأة لم تكن معروفة في التراث الأدبي أنذاك، قبل صدور أعمال ليلى بعلبكي، التي جاءت كتاباتها جريئة تطرح قضية حرية تصرف المرأة بجسدها، تفعل به ما تشاء، إذ ترى أن "حرية الإنسان عبارة عن حرية المرأة في التصرف بجسدها"(١٣).

ولعل من باب انصاف القول، بأن اقتحام المرأة لمجال الرواية لم يكن مغامرة غير محسوبة النتائج، الهدف من ورائها التأليف في فن الرواية كيفما جاء شكل هذه الكتابة، بل إن"المرأة (الكاتبة) عموما، قد بارزت الرجل في استخدام جميع الوسائل والأدوات الفنية، من صياغة وجودة النظم،وحسن التصوير وتوشية الكلام وتطريزه بحلل البديع، وإكسائه حلل الفصاحة وأثواب البيان"(١٤)، كما أن بعض النساء أبدعن في تهذيب اللغة وتطويعها لتصير حاملة لخصائص المرأة، سواء تعلق الأمر بالألفاظ أو بالتراكيب، ومن ثم لم تكن مشاركة المرأة للرجل في ميدانه الأدبي مشاركة رمزية، بل كانت تعبيرا قويا عن ظهور عنصر جديد في الساحة، بإمكانه أن يبدع عوض أن يكون موضوعا يتمركز حوله الإبداع، وأن يصبح فاعلا بعدما كان نادر الحضور إن لم نقل منعدم الظهور، فكانت الكتابات النسوية الأولى – على الرغم من حداثة سنها ورسمها الخطوط الأولى – كفيلة بإبراز قدرة المرأة الناطقة بالعربية على مضاهاة الرجال في باب يعتبر من أهم أبواب مقاييس الحضارة والرقي.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الحقبة التي نتحدث عنها، لم تكن حقبة برد وسلام في التاريخ الدولي خاصة والعربي على وجه الخصوص، فعلى الصعيد العالمي كانت آثار الحربين العالميتين الأولى والثانية كارثية على الأوضاع السياسية في شتى بلدان العالم، حتى تلك التي لم تشارك في الحرب.

وبالطبع، فالعالم العربي لم يسلم من هذه التأثيرات، ولا سيما أن العديد من دوله، بل معظمها كانت ترزح تحت نير الاحتلال الأجنبي خلال هذه الفترة، فكانت المعاناة من ظلم المستعمر في قمتها سواء في المشرق أو في المغرب. كما أن هناك معطىً آخر ألقى بضلال دائمة من الحزن والأسى في نفسية المواطن العربي، يتمثل في نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨م، وما تلاها من تشتيت لأبناء ذلك البلد العربي الجريح، واستيلاء على تربة وهواء بيت المقدس.

هذا من دون أن نتحدث عن ظلم الأنظمة الحاكمة للشعوب، والمثقفين والأدباء بشكل خاص، والذين خفت صوتهم، وانحبست كلماتهم في أجوافهم، فلم تجد إلى الخروج سبيلا وتراجع دورهم في تنوير المجتمع وتنمية الفرد وتأهيله، فكان من نتائج هذه الأوضاع الشديدة القتامة، "أن ظهر جيل ضائع أو في طريقه إلى الضياع، يجد السلامة في الابتعاد عن الصراع، وهذا ما فتح الباب لسد الفراغ الفكري بتمرد ثوري أو وجودي أو عبثي ، فكان النضال في بداياته ضد سوء الأحوال السياسية، وغياب الحريات الممنوحة من طرف المستعمر أو الحاكم العربي المستبد، وتجلى هذا الأمر بوضوح في أدب الكاتبات اللبنانيات والمصريات على وجه الخصوص.

ومظاهر هذا الصراع الفكري تتجلى أيضا في بعض الكتابات الذكورية التي جاءت كردود على كتابات نسوية طافحة بالتمرد، ومن ثمّ جاء الرد من جنس القول، فكانت كمن يصب الزيت على النار، أو كمن يطمع في إيصال هذا التطاحن إلى ذروته رغبة في مكاسب لا يعرفها غيره، فتعريف المرأة مثلا، " كذات مرصودة للألم، وجسد مباح للعنف وكيان مازوشي يتلذذ بسادية الرجل"[١٥]، لا يمكن إلا أن يجعل أقلام الكاتبات أسن من الرماح، وهو تطاحن لا يخدم المجتمع في شيء على أية حال، بل يسهم في تقطيع أوصاله وبث الفرقة بين عنصريه الأساسيين: الرجل والمرأة. وهناك من الكتاب من تنبه إلى هذه النقطة فجاءت كتاباته إما إقامةً لكلمة الصواب، والمتمثلة في أن كلا من الرجل والمرأة هما ضحيتا تقاليد موروثة بالية سواء في الوطن العربي

أو في غيره من البلدان ، أو نصرة للمرأة المقهورة، من طريق الإشادة برجاحة عقلها وسمو مداركها وقدرتها على ولوج منازل لم يصلها الرجل عبر تاريخ تواجده الطويل، إلا عندما وجد المرأة إلى جانبه تزيل معه العقبات وتعينه في فك الغموض، من هؤلاء نجد مثلا الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم عمر الذي طالما أشاد بعمق المرأة الاستثنائية، خاصة المرأة المبدعة(١٦).

فنجد مثلا عند غادة السمان أنها تقول في أحد إهداءاتها:" إلى الذين يؤمنون مثلي أن الوطن طائر، لن يحلق إلا بجناحيه: المرأة والرجل"(١٧)، وتمضي في متن كتابها إلى تأكيد هذا الرأي عندما تقول: " أما الرؤية الذكورية للعالم فهي واقع مؤسف، لا ينسحب على المرأة وحدها بل على عدد كبير من معذبي هذه الأرض"(١٨)، وتضيف: "لم أنجرف يوما إلى الشوفينية في نظرتي للتحرر"(١٩).

هذه النظرة المتفائلة من المرأة الكاتبة تجاه الرجل، لا يمكن إلا أن تسهم في تنمية الإبداع الأدبي أولا، ثم المجتمع ثانيا، فالرجل ليس دائما هو ذلك العدو الذي لا يرى من المرأة إلا جسدها، والذي سامها شتى صنوف القهر والهوان ردحا من الزمن، بل إن الرجل هو الأب وهو الأخ والابن وهو كذلك الزوج المحب. ومن تم، فمن الشذوذ الفكري أن تناضل النساء ضد من هم في هذه المراتب بالنسبة لهن، إن "المرأة شقيقة الرجل وشريكته في القدرة على الإبداع وبناء الحياة الجديدة، فالتقدير لا يكون إلا للجهد الإنساني في ذاته بغض النظر عن مبدعه رجلا كان أو امرأة"(٢٠)، وإن نظرة إيجابية كهذه، كفيلة بمد إبداع المرأة بالعناصر الأساسية التي تلزمه، ليغادر مرحلة الصبا إلى آفاق الأدب الرحبة.

من كل ما سبق، نخلص إلى أنه يمكن حصر أطراف الصراع، أو لنقل توجهات الكتابات النسائية موضوعاتيا على وفق ما يأتي:

١. كتابات موجهة نحو الرجل.

٢. كتابات موجهة نحو المؤسسات المجتمعية/ المدنية.

٣. كتابات موجهة نحو الذات.

٤. كتابات موجهة من المرأة للمرأة.

وفي هذا الصدد نؤكد الحضور القوي للمرأة في كتابات المرأة، الذي يجد تفسيره في الرغبة القوية في إبدال الصورة النمطية التي كرسها الرجل عنها في كتاباته كموضوع للحب والجنس، ووسيلة للمتعة لا أقل ولا أكثر، ومن ثم قررت المرأة المبدعة إبراز الصورة المشرقة لهذا الكائن الجميل من خلال إبراز مؤهلاته وقدراته المختلفة، والتي لا تختلف عن مؤهلات الرجل/الذكر في شيء، فظهرت امرأة تكتب الرواية عوض المرأة الأخرى التي تكتب في الرواية.

ومن معالم هذا التحالف النسائي - النسائي مثلا تخصيص الكاتبات لصفحة الإهداء التي تتصدر المؤلفات لبنات جنسهن، كما نجد مثلا عند آمال مختار، التي تستهل روايتها "نخب الحياة" بالعبارة: "إلى امرأة أخرى في"، أو كما هو الأمر عند غادة السمان التي تقول في أحد إهداءاتها: "إلى الرجال العاشقين لإنسانية المرأة، والذين يقفون مع حرية المرأة ... وإلى نساء الحرية، رغم الثمن الباهظ، تحية من واحدة منكم"[٢١].

تأتي هذه الهبة النسوية لنصرة المرأة بعدما كانت بعض كتابات الرجل حول المرأة مجحفة وظالمة بحقها[٢٢]، من دون إدراك منه أن المجتمع طائر، كما تصفه غادة السمان، لا يمكن أن يطير بجناح واحد، بل لا بد له من جناحين معا والمتمثلان في الرجل والمرأة...

و تميز الكاتبة المغربية خناثة بنونة[٢٣] بين نوعين من النساء:

- **امرأة بقضية و امرأة بدون قضية.**

وتميل الكاتبة إلى الصنف الأول وتتعاطف معه بشدة، فهي تقدر المرأة ذات القضية التي تتصرف على وفق مبادئ تنحو بها منحى التغيير، كما أنها تناضل على الواجهة السياسية، وكأن ذلك الصراع الدائر خارج المحيط

السياسي، لا يمكنه أن يعبر بالمرأة نحو بر التحرر من المكبوتات التاريخية التي تسيجها وتكبل فعلها وإرادتها.

نقيض هذه الفكرة نجده عند الروائية الفلسطينية سحر خليفة[٢٤]، التي تنطلق – متأثرة بالوضع الفلسطيني – من فكرة العمل الاجتماعي كواجهة أساسية للنضال من أجل التحرر والانعتاق، فإذا كانت خناثة بنونة قد اعتبرت المرأة بدون قضية امرأة زائدة عن الحاجة، وفضلة يجب استئصالها أو تهميشها، لأنها تزيد وضعية المرأة سوءا، فإن ذات المرأة عند سحر خليفة هي النواة التي ينبغي التركيز عليها، ليس بحشوها بالأفكار والمواقف، بل بتربية سلوكها وتهذيبه. نفس الصرامة التي وجدناها عند خناثة بنونة، يمكن ملاحظتها عند غادة السمان، بل إنها تنحو معهن منحى أشد، إذ تصف النساء المستسلمات والموافقات على الاضطهاد، بخيانة الأهداب للعين والأصبع للأصبع والكف للساعد، في إشارة إلى عدم دعم المرأة لنضال المرأة، كما تسمي حياتهن بحياة الحريم، لكن غادة تذهب إلى حد خلع ثوب الرحمة والشفقة، فتقول: "سنبتر ذراعنا إن خانت"[٢٥]، صارخة بأعلى صوتها في وجوههن بحقيقة ساطعة تؤمن بها وهي أن وضعهن وبؤسهن ليس قدرا كتب عليهن، بل هو تطاول على حريتهن يجب أن ينمحي. إن هذه الصرخات التي أطلقتها غادة السمان وكثيرات غيرها تنم عن ضيق صدر وطفوح كيل من عذابات القهر والحرمان... لذلك فأغلب الكتابات النسوية لبست درع الصراع ودخلت في حروب شرسة ضد الثالوث المحرم (الدين السياسة الجنس) بغرض إثبات الذات، وللتدليل على هذه الفكرة نتأمل عتبات العناوين التي تخص مؤلفات وأعمال نسائية مثلا: لم نعد جواري لكم – سحر خليفة/ امرأة خارج الحصار– رجاء أبو غزالة/ الرهينة – إميلي نصر الله/ الدمى الحية – هند سلامة/ لست دمية – ثريا شيخ العرب/ زوج في المزاد – جيلان حمزة/ لعنة الجسد – صوفيا عبد الله/ لا عزاء للسيدات – كاثيا سرور/جريمة الرجل/ انتحار رجل ميت /موت الرجل الوحيد على الأرض

/أرفض أن أكون رجلا... إلخ، فالمتأمل لهذه العناوين، يستنتج دون كبير عناء، الحضور المتميز للصراع المحتدم بين الذكر والأنثى، والذي يعكس رغبة الأنثى في قلب الموازين والهروب من أغلال الذكر وقيوده.

إن أواسط القرن العشرين، شكلت بالنسبة للقلم النسائي بوابةً للانفلات الناجح من تقوقعه وانعزاله، فجاء الخطاب القصصي النسوي برؤية جديدة، نازلا بكل ثقله في الساحة القصصية، فأبان عن مهارة رفيعة ونبوغ خلاق وقدرة عالية على التغيير والإبداع والإفصاح عن مكنونات الذات وسرائرها بحرية وإدراك واع لحقيقة الواقع، ومن هذا المنطلق، تمكنت المرأة العربية في ظرف زمني وجيز، من أن توقع على حضور لافت ومتميز على مستوى الساحة الأدبية عموما، والقصصية على وجه الخصوص، بل وتجاوز هذا الحضور فن القصة ليشمل فنونا أدبية أخرى.

مستغلة توهج المشهد السردي العربي، تخطو القصة النسائية بكل عنفوانها الإبداعي وثقلها الذي يكاد أحيانا أن يخرجها عن طبيعتها ومدار همومها وقضاياها، التي هي قضايا مجتمعها...

ولقد استمدت القاصة العربية هذه المكانة من كونها استطاعت أن تعلن وجهة نظرها عبر موقف ورؤية واضحة إزاء المجتمع العربي، الذي وصفته بالظلم والجور أحيانا، وبالانعزال والتقوقع في أحايين أخرى، وفيما يلي إطلالة على أهم الأسماء النسائية التي اشتهرت في فن القصة، والتي تتوزع على مختلف الأقطار العربية، فنجد من اليمن مثلا: رمزية الأرياني وسلوى الصرحي، ومن سوريا حنان درويش وكوليت خوري، ومن الإمارات سلمى مطر سيف، ومن البحرين فوزية رشيد، ومن تونس تافلة ذهب، ومن الأردن سهير سلطة التل، ومن فلسطين ليانة بدر، ومن لبنان حنان الشيخ، ومن قطر نورة السعيد، ومن مصر رضوى عاشور، ومن السعودية رجاء العالم، ومن الكويت ليلى العثمان، ومن ليبيا نادرة العويثي، ومن الجزائر زهور ونيسي ومن المغرب خناثة بنونة وزهور كرام وربيعة ريحان... وبطبيعة الحال فهذه

الأسماء لا تشكل سوى أنموذج على سبيل المثال لا الحصر، بل إن غيرهن كثير.

أما بالنسبة للشعر النسائي العربي، وعلى عكس الشعر العربي القديم الذي صالت الخنساء فيه ، فإن الحقبة الحديثة والمعاصرة عرفت ميلاد أعداد كبيرة من النساء الشواعر، اللواتي نافسن الرجال في إبداع قصائد تسير بذكرها الركبان.

ولعل أبرز الشواعر اللواتي خرجن بالشعر في مجمله الذكوري والأنثوي على السواء، من خانة التقليد النمطي إلى رحاب القول الفسيح، تبقى هي نازك الملائكة؛ الشاعرة العراقية التي بلغ صيتها الآفاق، ومن ثمّ فالفتح الشعري الحديث متعدد المظاهر والتجليات، قد تم على يد امرأة، مما يعكس المبلغ الذي وصله الإبداع النسوي. يقول عبد الله محمد الغدامي متحدثا عن نازك الملائكة: "المرأة التي حطمت أهم رموز الفحولة وأبرز علامات الذكورة وهو عمود الشعر"(٢٦). ويضيف الكاتب: "لهذا واجهت نازك الملائكة كل أصناف المعارضات ... من ممثلي الفحولة الثقافية، لأنها امرأة تصدت للعمود وتولت تكسيره عمدا وعن سابق إصرار"(٢٧).

وفن الشعر النسائي لم يترك تربة عربية إلا ونبت فيها، فمن المغرب، برز اسم وفاء العمراني وكذا زهرة المنصوري، ومن الجزائر حبيبة محمدي، ومن تونس فضيلة الشابي، ومن ليبيا فاطمة حمود، كما برزت أندريه شديد وفاطمة قنديل من مصر، وهدى أبلان من اليمن، ونجوم الغانم من الإمارات، أما من قطر فبرز اسم زكية مال الله، ومن الكويت سعدية مفرح، ومن السعودية فوزية أبو خالد، ومن فلسطين ليلى علوش وفدوى طوقان، أما من لبنان فظهرت تيريز عواد وندى الحاج، ومن العراق نازك الملائكة ولميعة عباس، ومن سوريا عائشة أرناؤوط وهلا محمد، وأخيرا برزت من الأردن زليخة أبو ريشة وليلى حلبي.

حظيت هذه الموجة التمردية بنوع من الدعم الصريح أحيانا، والخفي في أغلب الأوقات، من طرف مبدعين وأدباء من الجنسين معا. تقول وجدان الصائغ مفسرة هذا الغلو والتمرد في كتابات النساء العربيات: "هو تعبير طبيعي عن حالة التمرد التي أعقبت سنوات الحرمان والإقصاء، وليس في هذه النماذج، ولا في المواقف التي تعبر عنها ما يشي بالعداء والتنكر للتراث، أو ما يدخل في شعارات القطيعة والأخذ بمنطق الاقتلاع من الجذور"[٢٨]. كما ربط بعضهم الإبداع والرقي الأدبي بالتمرد. يقول جان نعوم طفوس: "الإنسان كائن متمرد، ولذلك يبدع ويترقى"[٢٩].

هذا الموقف الذي وقفته الكاتبة المتمردة من الدين والتراث والتقاليد، لم يمر من دون معارضة عنيفة من طرف أوساط متعددة، منها ما كان عنيفا عنف الكتابة المتمردة نفسها، ومنها ما كان رافضا للمضمون متقبلا للجودة الأدبية. وتعليقي على هذه المواقف جميعها أن هذا الأمر طبيعي، بالنظر إلى المرحلة التي ظهرت فيها كتابات هؤلاء النسوة أمثال: نوال السعداوي، ليلى بعلبكي، كوليت خوري، فاطمة المرنيسي، غادة السمان، أحلام مستغانمي، وأخريات ممن حملن شعار الدفاع عن المرأة ضد أشكال الظلم الذي تعرضت له. بعضهن تعرض لمحنة حقيقية جراء آرائه، أمثال نوال السعداوي التي اضطهدت من طرف سلطات بلدها بسبب آرائها الجريئة حول النظام القائم والسلطات الحاكمة في مصر، كما تعرضت لتهديدات بالقتل من طرف جماعات دينية متعددة، بسبب آرائها حول الحجاب وأمور دينية أخرى، مما دفعها إلى مغادرة البلاد تجاه المهجر بحثا عن آفاق أرحب، وكذلك الأمر بالنسبة لكاتبات أخريات.

من جهتنا، إن كنا لا نتفق مع الدكتورة نوال السعداوي ومثيلاتها في تسفيهها للدين واستهزائها بتعاليمه، وازدرائها لثقافة المجتمع وتراثه وقيمه، فإننا لا نتفق أيضا مع هذا النوع من الآراء الرافضة، التي تتجاوز رفض

الكتابة ومقارعة الحجة بالحجة، إلى ما لا يمت بعلاقة للأدب ومحيطه؛ كالتهديد بالقتل أو مصادرة الكتب أو ما شابه ذلك.

التمرد الأدبي النسائي في شقيه الديني والتراثي – إن صح التوصيف- وكما انبرى له معارضون من مختلف الأطياف المجتمعية للتعبير عن رفضهم إياه، فقد وجد له في الساحة الأدبية مناصرين يتفقون مع الكاتبة فيما تذهب إليه من تحرير للمرأة، وإن كانت وسائلها متمردة إلى درجة التطرف. يقول الدكتور غالب هلسا في هذا الصدد: "من خلال رواية المرأة، شعرت بأنني أتعلم أشياء عن المرأة، لم أكن أعرفها من قبل"(٣٠).

وربما جاء الحديث هنا عن فن الرواية بوصفها أكثر الفنون التي اعتمدتها المرأة الكاتبة كوعاء لأفكارها المتمردة. يقول الدكتور عادل خضر: "تعتبر الرواية العربية، والرواية المكتوبة بقلم المرأة بصفة خاصة، وريثة ألف ليلة وليلة، بوصفها استئنافا لمحاولة شهرزاد في رفع الشطط عن المرأة، ولكن لا تمثل كل الروايات استئنافا لمحاولة شهزراد"(٣١)، كما يطرح عادل خضر فكرة جديرة بالتأمل، وهي أن المرأة الكاتبة ومهما كانت كتاباتها متمردة وحافلة بالكشف والبوح، فإن ما لم تقله أكثر وأعظم. وفي هذا الإطار يقول: "إن النساء حتى إن انبرين للكلام والبوح، لا يعني ذلك بالضرورة أنهن يقلن كل شيء، ولا أننا سنعرف منهن كل شيء، ففي كل كلام يقبع الصمت"(٣٢).

وكمثال آخر عن الدعم الغربي الذي حظيت به الكاتبة المتحررة العربية، نورد بعض الشهادات التي ساقها كاتبان غربيان في حقها. يقول د.جيمس كريتزل: "إن قدرة السمان على رصد تشابك الأسباب بعيدا عن هيستيريا أحادية النظرة (النسوية)، لهي بحق ظاهرة أدبية"، أما فيليبو دي جاكومو فيقول: "غادة السمان تنجح دائما في إفهامنا، بأي طريقة يؤدي الاستعمال السلبي للتقاليد الإسلامية، إلى كبح انطلاق المرأة"(٣٣).

هذه المواقف والآراء المختلفة من التمرد الأدبي، الذي سلكته المرأة الكاتبة العربية يدفعنا إلى طرح السؤال حول مسألة في غاية الأهمية، وهي: ما مدى حرية الكاتب المبدع في البوح والتعبير؟ أم أنه ليس للحرية حدود؟...

إن جنوح المرأة الكاتبة العربية التي سلكت مسلك التحرر السلبي المبالغ في رد الفعل حوله، أساءت للأدب النسائي من إذ أرادت الإصلاح، وهذا ما جعلنا نشعر أن الوعي النسائي اليوم لا يزال يحبو على أربع، وحريم فاطمة المرنيسي الذي يجعل من حمامات مدينة فاس فضاءات للثرثرة الفارغة ومضغ الكلام، لا يختلف كثيرا عن حريم الصالونات العصرية في وقتنا الحاضر، فالاختلاف ظاهري فقط، لذلك يبدو الطريق طويلا وشاقا أمام النساء الأديبات مهما حاولن أن يسطرن كتابات جريئة بمعايير اليوم... ولكن قتامة الصورة ليست إلى هذا الحد في الواقع، فمن زوايا نظر أخرى، انبرت أقلام نسائية تيسر لها من عمق الفهم للمسألة ما مكنها من الدفاع المثمر عن قضية المرأة، وذلك بعدما اتخذت التخلف والجهل عدوا، سندها في ذلك الرجل وشقيقاتها النساء، فأحسنت القول وهي على هذا الدرب النضالي مازالت مستمرة.

إن الكتابة النسائية اليوم سواء كانت قصة أو رواية أو شعرا عليها أن تعي أن معركتها ليس ضد الرجل، فهو ضحية مثلها، ولا ضد المجتمع الذي تعده سجنها الكبير، بل ضد التخلف والجهل والاستبداد... فبالعلم وحده تستطيع تحقيق انعتاقها والوصول إلى فهم أعمق لشقيقها الرجل واندماج أفضل داخل مجتمعها وبيئتها.

هوامش البحث:

[1] نوال السعداوي ، أوراقي ...حياتي ،الجزء الأول، الصفحة ٨

[2] غادة السمان، امرأة عربية ...و حرة، الصفحة ٩ .

[٣] حاتم الصكر، مقال : ليلى العثمان في "صمت الفراشات" حرية العبد و اختيار السيدة. مجلة العربي، الصفحة ١١٢.

[٤] أحلام مستغانمي، الزمن المضاد للكتابة، الصفحة ٤٦.

[٥] غادة السمان، امرأة عربية...وحرة، الصفحة ١٠.

[٦] المصدر نفسه، الصفحة ١١.

[٧] جوليا كريستيفا، الأنثوي ذلك الغريب فينا ، حوار أرواد أسبير ، مجلة مواقف ، عدد ٧٣-٧٤ / ١٩٩٣ -١٩٩٤ ، الصفحة ١١١-١٢٨ ، وتقول كريستيفا عن هذه الغربة :"حتى النساء لديهن صعوبة في بلوغ الشطر المؤنث فيهن ، ويفعلن أي شيء كي يبقى هذا الشطر خبيئا محجوبا لا يرى مخجلا " الصفحة ١٢٠.

[٨] هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية المعروفة باسم الخنساء (٥٧٥ م – ٦٦٤ م)، شهد لها الشعراء و الأدباء، عاشت في الجاهلية و أدركت الإسلام، نال أبناؤها الشهادة في معركة القادسية، فافتخرت بذلك أيما افتخار.

[٩] Muriel Brad book – Women and literature 1779- 1982 /P . 50

[١٠] محمد صوف، النساء يكتبن أحسن، الصفحة ٧.

[١١] المصدر نفسه ، الصفحة ٨.

[١٢] كاتبة لبنانية ذات إبداع كبير في مجال الرواية و القصة و الكتابة الصحفية، أبرز أعمالها: أنا أحيا، الآلهة الممسوخة.

[١٣] نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية، الصفحة ١٨.

[١٤] طيفور الخراساني، بلاغات النساء و طرائف كلامهن و ملح نوادرهن و أخبار ذوات الرأي منهن و أشعارهن في الجاهلية و الإسلام، الصفحة ٢٢.

[١٥] هشام العلوي، الجسد و المعنى، الصفحة ٢١.

[١٦] عبد الله منصور، صورة المرأة في شعر عبد الرحيم عمر، الصفحة ١٤٠.

[١٧] غادة السمان، امرأة عربية...وحرة، الصفحة ٥.

[١٨] غادة السمان، امرأة عربية...وحرة ، الصفحة ٣١.

[١٩] المصدر نفسه ، الصفحة ٣٢.

[٢٠] وجدان الصائغ، القصيدة الأنثوية العربية، الصفحة ٦.

[٢١] غادة السمان، امرأة عربية...و حرة، الصفحة ٥.

[٢٢] وفيما يلي بعض الأقوال التي تصور المرأة أحيانا كائنا طبعه الشر، وأخرى عنصرا غير مكتمل الذكاء، أو عضوا مجتمعيا وظيفته خلق المتعة للرجل فقط:

يقول صاموئيل بتلر: "قطاع الطرق يطلبون منك حياتك أو نقودك، المرأة تطلبهما معا"، أما أنتونين أرتو فيؤكد على أن "الشر ينبع من ظلمات المرأة" في حين ذهب صاموئيل بوتون إلى القول بأن "الرجل يفضل أن تحسن زوجته الطبخ على أن تحسن اللاتينية"، أما عند بعض الكتاب العرب، فنجد أقوالا لا تقل قساوة وإجحافا عن نظيرتها عند الغربيين، يقول توفيق الحكيم: "الجمال هو العذر الوحيد الذي به نغفر للمرأة كل تفاهتها وحماقتها"، ويقول الحكيم أيضا في "الرباط المقدس" الصفحة ٢٦: "الرجل هو الذي يعرق والمرأة هي التي تنفق ... إكدحي كما يكدح زوجك واعرقي كما يعرق، فإذا تساويتما في التضحيات، تساويتما في الحقوق"، فيما تورد غادة السمان في كتابها "امرأة عربية وحرة" كتابا لابن القطعة عنوانه "ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار".

تقول إحدى شخصيات نجيب محفوظ في الكرنك: "إني أحتاج دائما لمن يدافع عني... أليس ذلك تعريفا لا بأس به للمرأة ؟"، المرأة المتضمنة في هذا المقطع هي المرأة الخاضعة الخانعة...

(٢٣) سحر خليفة واحدة من أهم الروائيين الفلسطينيين. ولدت في نابلس عام ١٩٤١. تزوجت في سن مبكرة زواجا تقليديا؛ وبعد مرور ثلاثة عشر عاما من الإحباط وخيبة الأمل، قررت أن تتحرر من هذا الزواج وتكرس حياتها للكتابة.

(٢٤) ولدت خناثة بنونة في ٢٤ شتنبر ١٩٤٠ بفاس، اشتغلت بالتدريس ثم عينت في ١٩٦٨ مديرة بالتعليم الثانوي بالدار البيضاء، من أعمالها الأدبية : إصدار أول مجلة ثقافية نسائية بالمغرب تحت أسم "شروق" ، ليسقط الصمت (١٩٦٧) – دار الكتاب – البيضاء – ٢٠٥ صفحة. وهي أول مجموعة قصصية نسائية بالمغرب.

(٢٥) غادة السمان، امرأة عربية...و حرة، الصفحة ١٤.

(٢٦) عبد الله محمد الغدامي، تأنيث القصيدة و القارئ المختلف، الصفحة ١٢.

(٢٧) المصدر نفسه، الصفحة ١٨.

(٢٨) وجدان الصائغ، القصيدة الأنثوية العربية، الصفحة ٥.

(٢٩) جان نعوم طفوس، أساطير الجسد و التمرد، الصفحة ٧.

(٣٠) نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية، الصفحة ١١.

(٣١) عادل خضر، مقال: "صمت النساء"، صورة المرأة في الرواية العربية، الصفحة٤٥.

(٣٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٠.

(٣٣) عن مقدمة كتاب امرأة عربية...وحرة ،غادة السمان.

المصادر والمراجع

١. أحلام مستغانمي، "الزمن المضاد للكتابة"، دار الآداب، بيروت، أيلول ١٩٤٩.

٢ . أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني: "بلاغات النساء و طرائف كلامهن و ملح نوادرهن و أخبار ذوات الرأي منهن و أشعارهن في صدر الجاهلية و صدر الإسلام". تحقيق و تعليق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الفضيلة للنشر و التوزيع.

٣ . جان نعوم طفوس ، "أساطير الجسد و التمرد"، منشورات دار الحداثة، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٩.

٤ . خناثة بنونة، "النار والاختيار: رواية"، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الثانية ١٩٨٨-١٩٨٩

٥. عبد الله محمد الغدامي،"تأنيث القصيدة و القارئ المختلف"، منشورات المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٩.

٦ . علوية صبح، "اسمه الغرام " دار الآداب بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٩.

٧ . غادة السمان، "امرأة عربية و حرة - الأعمال غير الكاملة"، منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.

٨ . فريدون هويدا، "الإسلام المعطل"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤ .

٩. ليلى الأطرش، "صهيل المسافات: رواية"، دار شرقيات، مصر، الطبعة الأولى ١٩٨٩.

١٠ .مجلة عيون المقالات، شهرية ثقافية فكرية جامعة"، العدد ١٦ -١٩٩٣ مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

١١. محمد صوف: "النساء يكتبن أحسن" مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

١٢ . مي زيادة ، "كلمات و إرشادات"، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٣.

١٣. نزيه أبو نضال، "تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية و بيبليوغرافيا الرواية النسوية العربية ١٨٨٥-٢٠٠٤" ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ .

١٤.نوال السعداوي، "امرأتان في امرأة: رواية" دار الآداب، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٩٨

١٥. نوال السعداوي، سقوط الإمام ، در المستقبل العربي القاهرة١٩٨٧/دار الساقي ٢٠٠٠.

١٦.نوال السعداوي، "موت الرجل الوحيد على الأرض:رواية"، دار الآداب، بيروت، الطبعة السادسة١٩٩٩.
١٧.نوال السعداوي ، "أوراقي ... حياتي"، دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٤، الجزء الأول.
١٨. نوال السعداوي، "موت معالي الوزير سابقا: قصص"، دار الآداب، بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٠.
١٩. هشام العلوي، "الجسد و المعنى...قراءة في السيرة الروائية المغربية"، النشر و التوزيع المدارس، البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٦.
٢٠ . وجدان الصائغ، "القصيدة الأنثوية العربية...قراءة في الأنساق"، منشورات دار الكتب بصنعاء ٢٠٠٤.